﴿سلسلة خطب الجمعة﴾

لفضيلة الشيخ
مصطفى العدوي

-حفظه الله-

الخطبة بعنوان:

خطبة القنايات

بتاريخ [15-2-2013]

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الخطبة بعنوان:
خطبة القنايات
****

الخطبة الثانية:

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدًا، ولم يكن له شريكٌ في الملك، وهو خلق كل شيءٍ فقدره تقديرًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدهُ لا شريك له، يُحيي، ويميت، ويعز، ويذل، ويكرم، ويهين، ويخفض، ويرفع، ويغني، ويقني، ويضحك، ويبكي، له الخلق وله الأمر فعالٌ لما يريد، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله، -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-، أرسله الله بين يدي الساعةِ بالحق بشيرًا ونذيرًا، فأدى الأمانة حق الأداء، وبلغ الرسالةَ حق البلاغ، فجزاه الله عنا خير ما جازى نبيًا عن أُمته، ورسولًا عن دعوته ورسالته.

وبعد...

أيها الإخوة، فإن مكارم الأخلاقِ بُعث النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لتتميمها، فقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق». وفي روايةٍ: «إنما بعثت لأتمم صَالِح الأخلاق». ولما أرسل أبو ذرٍ أخاه قبل أن يُسلم أبو ذر لتفقد أحوال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رجع إليه أخوه فسأله أبو ذر، كيف رأيت هذا الرجل؟ الذي يُزعم أنه نبيٌ وبما يأمر؟ قال: رأيته يأمر بمكارمِ الأخلاق، فمن ثُمَّ شد أبو ذر الرحيل إلى رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وأسلم والحمد لله، ولقد سأل أبو سفيان سأل هرقلٌ أبا سفيان قائلًا: بما يأمركم هذا الرجل الذي يَزعم أنه نبي؟ قال: يقول: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: 36]. ويأمرنا بالصلاة والصدق، والعفاف والصلة، في حديثٍ طويل قال بعده هرقل: «إن كان كما قلت فسيطأ موضع قدمي هاتين صلوات ربي وسلامه على نبينا محمد». النبي الذي زكاه الله بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4]. -صلوات الله وسلامه على النبي القائل-: «ما من شيءٍ أثقل في الميزان يوم القيامة من حسن الخلق، وإن الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم الذي لا يُفطر، والقائم الذي لا يَفتُر»، وقال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن من أحبكم إليَ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة، أَحاسنكم أخلاقًا، وإن من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة، الثرثارون، والمتشدقون، والمتفيقون»، قال الإمام الترمذي يرحمه الله: «والثرثار كثير الكلام». كذا قال الإمام الترمذي رحمه الله، وقال -صلوات الله وسلامه عليه-: «ما قد سمعتموه، إن الرجل ليبلغ بحسن خُلقه درجة الصائم، الذي لا يُفطر، فإذا كان الرجل من ذوي الأخلاق الكريمة الحسنة فإنه يثاب وترتفع درجاته كما ترتفع درجة المواصل للصيام، والمواصل للقيام طول الليل».

فعليكم أيها الإخوة، بحسن الخلق، إن العبادات شُرعت لذلك، أو شُرعت ومن أجل مقاصدها ذلك، فالصلاة التي هي عماد الدين، قال تعالى في شأنها: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: 45]. وقال: إذا أتيتم الصلاة قال رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ولكن ائتوها وأنتم تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا»، وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «والملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يؤذي، ما لم يُحدث»، إذا كنت في مجلسك الذي صليت فيه، لم تغتاب شخصًا، لم تطعن في عِرض شخصٍ، لم تأتي بمحدثاتٍ، الملائكة طالما أنك على هذا الحال، وهي في دعاءٍ مستمر لك، اللهم اغفر له اللهم ارحمه.

وإذا انتقلنا إلى الصيام فهو كذلك، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يسخط، ولا يفسق، فإن سابه أحدٌ، أو شاتمه أحدٌ فليقل إني امرؤ صائم»، وكذلك قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل، فليس لله حاجة أن يدع طعامه وشرابه، وكذلك الحجُ»، قال تعالى: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: 197].

وقال -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ-: «من حج فلم يرفث ولم يصخب، أو لم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وإذا انتقلنا حتى إلى الزكاة، «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها». وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: 264].

فالعبادات شُرعت ومن مقاصد تشريعها تهذيب الأخلاق، وتقويم الأخلاق، «فليس المؤمن بالطعان، ولا باللعان، ولا بالفاحش، ولا بالبذيء». ولا بهذا أمرنا ربنا، ولا أمرنا نبينا، فهل وجدتم في كتاب ربكم أنكم تكونون بُزَاء؟ هل وجدتم في سنة نبيكم شيءٌ يحثكم على البذاءة؟ كلا بل في سنة رسول الله-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يقول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «إن اللعانين لا يكونون شفعاء، ولا شهداء يوم القيامة». في كتاب الله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: 83]. في كتاب الله: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: 53]. في كتاب الله سبحانه: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: 24]. في سنة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- «لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط». في سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي غفل الكثيرون عنها، «تبسُمك في وجه أخيك صدقة». في سنة رسول الله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت». هذا كله في سنة النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وغيره كثيرٌ وكثير، فحقًا إن ديننا من فضل الله علينا؛ يُهذب أخلاقنا، يُهذب أقوالنا، يُهذب أعمالنا، بل وتهذب به نوايانا، فليس لك أن تفكر في شر، ولا أن تعقد عزمًا عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36]. فلا تفكر في فعل الشرور، إن استرسلت

وعقدت العزم على فعل الشرور تأثُّمَ، إذ الله قال: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: 225]. فإذا وصل تفكيرك إلى العزم على فعل الشر، وإن لم تباشره لكنك عزمت على فعله، فإنك تأثُّمَ لذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾. فإذا أصبح الشيء كسبًا للقلب بعد استجماعه والعزم عليه تأثُّمَ بسبب ذلك، إن سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها: «لا تدابروا، لا تباغضوا، لا تحاسدوا، لا تحسسوا، لا تجسسوا، كونوا عباد الله إخوانا». إن سنة الرسول محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فيها: «لا يحل لمسلمٍ أن يهجر أخاه فوق ثلاث يلتقيان، فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام». إن كتاب الله فيه: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: 18] . إذا كلمت الناس فلا تُمل وجهك عنهم وأنت تحدثهم، بل أقبل عليه من الأدب، أن تقبل عليهم مبتسمًا مبتشًا، لا تكلمهم وصدغك في الجانب الآخر، لا تكلمهما هكذا، ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ . نهيٌ عن ذلك، وفي معرض الذم في شأن قومٍ قال الله في شأن بعضهم : ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [الحج: 9]. متكبر، مختال ينظر معجبًا لنفسه، مُعرضًا عن الناس، حتى في طريقة المشي قال تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: 37].

أيها الإخوة لا تغرنكم الأماني سمعتم نصوصًا، وهناك نصوصٍ، ونصوصٌ، ونصوص من الكتاب والسنة، بها تزن نفسك، هل أنت كريم الأخلاق؟ أم أنك لست على ذلك؟ أعلموا أن مكارم الأخلاق تُنال بأمور، ولا شك، ولا ريب أن المؤمن التقي يريد أن يكون حسن الأخلاق، ولا يريد أبدًا أن يكون بذيئًا، فكيف تتأتى الأخلاق الكريمة، وكيف نحصل عليها؟ أول ذلك أن نسأل الله ذلك؛ لأن الله هو الذي خلق الخلق أطوارًا، خلقهم أطوارًا هذا كريم الأخلاق، وهذا سيء الأخلاق، خلق الله الخلق أقسامًا وأصنافًا، وكما أنه قَسم بينهم الأرزاق فقد قسم بينهم الأخلاق، وكما أننا نسأل الله الرزق، نسأله أيضًا حسن الخلق، فأول سببٍ لتقويم الأخلاق وتهذيبها أن نسأل الله إياها، ولذلك كان من دعاء رسلكم محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «اهدني لأحسن الأخلاق، والأقوال والأعمال، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت». فاجعل لنفسك وردًا من هذا الدعاء يوميًا، اسأل الله أن يهديك لأحسن الأخلاق، وأحسن الأقوال، وأحسن الأعمال، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا هو، وأن يصرف عنك سيئها، لا يصرف عنك سيئها إلا هو، إذا دخلت مع قومٍ مجلسًا، اسأل الله ذلك أن يهديك للطيب من القول، أن يهديك لأحسن الكلمات، اسأل الله التوفيق، قال خطيب الأنبيَاء العبد الصالح النبي الكريم شعيب -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيه أُنِيبُ ﴾ [هود: 88].

فهذا أولًا عليك أن تسأل الله أن يوفقك لصالحِ الأخلاق، قد تنشأ مشكلة تنكد عليك حياتك بسبب كلمة، بسبب سوء خلق، وقد يدر إليك رزقٌ عظيمٌ؛ بسبب كلمة طيبة، ويدفع عنك شرٌ عظيمٌ؛ بسبب كلمة طيبة، تعلمون أن ربكم قال في شأن

زكريا -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿وَأَصلحنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ [الأنبيَاء: 90]. قال العلماء في ذلك قولين:

الأول: أن لسانها كان به حدة، فأصلح الله لسانها.

والثاني: كانت عاقرًا كما هو معلوم، فهيأها الله للإنجاب.

وكلا المعنيين صحيح، فالذي يُصلح لنا الأخلاق هو الله، والذي يصرف عنا سيئها هو الله، ولذا كان من دعاء رسولكم، -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اللهم آتِ نفسي تقواه، زكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها». وأيضًا كان من تعويذاته: «اللهم إني أعوذ بك». أي الجأ إليك استنجد بك من منكرات الأخلاق، والأهواء، والأدواء فعليكم أن تسألوا الله أن يُحسن أخلاقكم، ثُمَّ أمرٌ معلومٌ «أن العلم بالتعلم، وأن الحلم بالتحلم، وأن يستعف يعفه الله». قاله النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ومن يستغني يغنيه الله».

فأيضًا مكارم الأخلاق تنال بالتدرب عليها، ابتليت وتريد أن تكون من الصابرين تدرب على الصبر، لا تشكو الله إلى عُوادك، لا تشكو الله إلى من يعودونك وأنت مريض، لا تشكو المرض فالذي يكشف الضُر هو الله، والذي يجيب المضطر هو الله، بدلًا من أن تقول: آه، آه، قل: الحمد لله، الحمد لله، قيل للإمام أحمد وهو في مرضٍ شديدٍ ألم به وأصبح يتأوه، قيل له: "يا إمام إن الإمام طاووس بن كيسان اليماني يقول: إن الأنين يُكتب فما آنَ الإمام أحمد حتى مات، قال له: إن طاووسًا يقول إن الأنين يكتب أي في الصحيفة؛ لأن الله قال: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)﴾ [ق: 18]. فما آن الإمام أحمد حتى مات".

فالأخلاق الكريمة تُنال بالتدرب عليها، تدرب على الصبر، سبك شخص من السفهاء في الشارع، احمد الله أنه لم يجعلك سفيهًا كهذا السفيه الذي سبك واصبر، فإن الله قال:﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: 134]. إن الله قال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ(55)﴾ [القصص: 55] . أن الله قال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ(199)﴾ [الأعراف: 199]. إن النبي قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إن الرسول قال ثلاثة أقسم عليهن ما زاد الله بعبد عفوًا إلا عزًا». إن الله قال: ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت: 34].

فإذا نال منك بذيءٌ في الشارع، أو طعن فيك، أو سخر منك، يا أخي أعرض عن الجاهلين، وأحمد الله أن جعلك عاقلًا، لا تقف مع كل سفيهٍ تناقشه وتكلمه، يا أخي مر كأن شيئًا لم يكن، والحمد لله ستُكرم، اصنع ذلك لوجه الله، لا لوجه أحدٍ سواه، وستكرم بإذن الله، كذلك تدرب على الكرم، جاءك شخصٌ ضيفٌ له حق، والضيف له حق، كما قال الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». تدرب يا أخي على الكرم عندك الأكل في بيتك طعام قدم له أجود ما عندك، فلن تُضر إذا أكلت فولًا مكان اللحم ذات يوم، أو فولًا ما كان قشطة ذات يوم، كل قريب، لكن تكون قد امتثلت أمر الله، وأمر رسوله بإكرام

الأضياف، تدرب على أن تكون كريمًا، تحظى بمحبة الخالق، ثُمَّ محبة الخَلق، ثُمَّ بالخُلف إذ الله قال: ﴿وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: 39]. فتدرب على أن تكون كريمًا، تدرب أيضًا على أن تكون شجاعًا، لا يطرق عليك طارقٌ في الليل، فتجبن وتقول لزوجتك انظري من بالباب جبنًا وهلعًا، من الأولى بحفظ الآخر؟ امرأتك التي تحفظك؟ أم أنت الذي تدافع عنها؟ وأنت عليها قوام، فتدرب على أن تكون شجاعًا، وتعوذ بالله من الجبن، وهكذا تدرب على كثرة الصمت، إلا من ذكر الله، أو إصلاح بين الناس، أو أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وإلا قلل الكلام قدر الاستطاعة، الكلام له شهوة، كشهوة الطعام، إذا كنت في مجلس اضبط نفسك يا أخي لا يلزم أن تتكلم، استمع أحيانًا، وقد تستفيد من كلمةٍ تسمعها، فتدرب على السكوت، وتدرب على الصمت إلا من خيرٍ فالأخلاق، تُنال وبعد سؤال الله إياها بالتدرب عليها قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغني يغنه الله، ومن يستعف يعفه الله». فتدرب على مكارم الأخلاق هذه بارك الله فيك.

تنال أيضًا الأخلاق الكريمة بالنظر في الوحيين الكريمين المباركين كتاب الله وسنة رسول الله، تستفيد من الوحيين من الكتاب ومن السنة، أخلاقًا كريمة، فإذا وجدت قوم نوح يقولون لنوح -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الأعراف: 60]. وهو يرد بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ [الأعراف: 61]. شخصٌ شتم قال يا سفيه، هل وصلت إلى مرتبة أن تقول له عفوًا أنا لست بسفيه، انظر إلى هذا الأدب،﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ﴾ [الأعراف: 66]. ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (67)﴾ [الأعراف: 67].

أخلاقٌ كريمةٌ ترث من كتاب الله ومن أخلاق الأنبيَاء، التواضع لا تتعلم الكبر، فإذا مررت بكلام يوسف الصديق، وسأله إخوته: ﴿أَئِنَّكَ لَأَنت يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ﴾ [يوسف: 90]، أدب، أدب لم يقل أنا العزيز يوسف، أو أنا الدكتور يوسف، أو الوزير يوسف، بل تتواضع، أنا يوسف، وينتقل إلى جبر الخاطر المنكسر، ﴿وَهَذَا أَخِي﴾ [يوسف: 90]. المظلوم كظلمي لا تقبلوا عليه لمنصبي وتعرضوا عن أخي، ثُمَّ يبين أن المنة والفضل لله قد من الله علينا، ثُمَّ يبين عموم إكرام الله للمتقين، ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أجر الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 90]. أدبٌ تسفيده، أدب التواضع من الأنبيَاء، ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل: 30]. بأدب وتواضع، ﴿ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [النمل: 30]. ليس من الفخامة ولا من الجلالة، ولا من السيادة أبدًا بكل أدب، ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾. ﴿أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: 31]. تستفيد من الكتاب العزيز والسنة المباركة أخلاقًا كريمة، تنزل الشدة في مواطنها، واللين في مواطنه، فالشدة في مواطنها خلقٌ كريم، والرفق في موطنٍ يحتاج إلى شدة ليس من كريم الخلق، فإذا كان هناك طاغ وباغ يصول ويجول على العباد سلبًا ونهبًا، واستعملت معه الرفق ولم يجدي الرفق، لابد من الأخذ على يديه، ولذلك صور إن الله قال لذي القرنين في الكتاب العزيز: ﴿يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: 86]. ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ

ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(87) وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا(88)﴾ [الكهف: -87-88].
فتستفيد من الكتاب العزيز، مبدأ الثواب والعقاب، إذا كان لك أبناء، ولدٌ منهم طائع، يكرم إخوانه، ويبذل لهم العطاء، وآخر دائمًا يضرب إخوانه وأخواته، ويسلبهم الأموال ويسلبهم الحاجات، والنصح في ذلك لم يجدي، لا يصح أبدًا أن تعامل هذا كما تعامل ذاك، بل الشدة لها مواطن واللين له مواطن.

قال سليمان -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: ﴿مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أم كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ [النمل: 20] ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ(21)﴾ [النمل: 21]. العقوبة على قدر الجرم تَخلف، لماذا تخلف؟ هو معرض لعقوبات، لأعذبنه عذابًا شديدًا، أو قد يرتقي العذاب إلى الذبح، إن كان يعمل أشياء محرمة، أو أن يأتي بحجة يدافع بها عن نفسه، فهكذا تتعلم من الكتاب العزيز والسنة المباركة، أن تنزل الشدة منازلها، وأن تنزل اللين أيضًا منازله، وهذا من كريم الأخلاق، ليس من كريم الأخلاق أن تكون في كل مرةٍ عفوًا رفيقًا، بل أحيانًا العدو الصائل الذي يسطو على المسلمين، ويروع الآمنين، ويعتدي على البنات يهتك الأعراض ويسلب الأموال، مثل هذا لابد له من رادعٍ، ولذا جاءت آيات الحرابة في كتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فمكارم الأخلاق تتأتى بشيءٍ؛ وهو النظر في كتاب الله عز وجل، وفي سنة رسوله الأمين محمد، -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ للاستفادة من الأنبيَاء، فكلامهم وحيٌ، وكلامهم نور يستضاء به، وأعمالهم نورٌ كذلك.

أيها الإخوة إذا عرفت الضد، ظهر لك فضل الشيء، فإذا عرفت عقوبات مساوئ الأخلاق تبين لك من ثُمَّ فضل الصدق، إذا عرفت مساوئ الكذب، وأن النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قال: «إياكم والكذب». وقبلها «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وأن الرجل ليصدق ويتحرى الصدق». يعني يداوم على الصدق ويتدرب عليه، «حتى يكتب عند الله صديقًا». وكذلك في المقابل «وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا». فإذا علمت ذلك أن الذي يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا، إن كففت من ثُمَّ عن الكذب، إذا عرفت أن الكذب شعبةٌ من شعب النفاق، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه واحدةٌ منهن كانت فيه خصلة النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب ، إذا وعد أخلف، إذا عاهد غدر، إذا اؤتمن خان». إذا علمت أنك منافق وأنت تكذب إن كففت عن الكذب، إذا علمت قول الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- تجدون من شر الناس ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، ويأتي هؤلاء بوجه، حينئذٍ ستنكف عن أن تكون مجاملًا بالباطل، وسيحملك هذا الحديث على أن تقول مقولة الحق في أي مكان نزلته.

فهكذا أيها الإخوة، انظروا إلى العقوبات التي وردت في مساوئ الأخلاق، عقوبة النمام الذي ينقل الكلام من الناس لبعضهم البعض على سبيل الإفساد، تسمع كلامًا من شخصٍ تذهب بسرعة تنقله للآخر، كي تفسد بينهما، ما عقوبتك؟ لقد قال

نبيك الأمين -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لا يدخل الجنة نمام»، بل قال الله تعالى: ﴿وَلا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: 10-11]. أي يمشي بين الناس بالنميمة، وقال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «وقد مر على قبرين إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، ثُمَّ قال بلى أنه كبيرٌ، أما أحدهما فكان يمشي بين الناس بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من البول». إذا علمت أن النمام يعذب في القبر وإن كان هو صادقًا، هو صدق ما نقل كذبٍ، لكن حمل كلام الشخص، كلام زيد في عمروٍ نقله لعمروٍ للإفساد بينهما، هو ما زاد ولا نقص، ولكنه أفسد، فهذا يعذب في قبره، فنتوب إلى الله ونستغفر الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- من النميمة ذاك الداء العُضال المدمر الجالب للنكد في القبر.

إن الرسول -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أيضًا حذر من الاغتياب، وهو ذكرك أخاك بما يكره، وإن كان فيه ما تقول، لكنه يكرهه فأنت مغتابٌ، وربنا قال: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: 12]. فالمغتاب الذي يذكر أخاهُ بسوء، ويمزق عِرضه، وإن كان صادقًا فيما يقول، كالذي جلس أمام جيفة أخيه الميت يمزقها، ويأكل منها، ويلتهم الأكل اللحم الميت، فاحذر فتلك كبيرةٌ أكثر الناس وقعوا فيها الأن، أكثر الناس إلا من رحم الله وقع في كبيرة الاغتياب، نعم هو يذكر الحقيقة، ولكنه مغتاب، فقد تكذب وتثاب، وقد تصدق وتعاقب، تكذب وتثاب إذا كنت تريد الإصلاح، زيدٌ قال في عمروٍ قولًا فذهبت إلى عمروٍ قلت له ما قال فيك إلا الخير، أثنى عليك للإصلاح وتقريب الكلام تُثاب، وإن كنت كذابًا، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «ليس الكذاب الذي يكذب ليصلح بين الناس، فيقول خيرًا أو ينمي خيرًا، ولكنك إذا كنت مغتابًا، وكنت صادقًا فيما نقلت فأنت معذب». أنت معذب؛ لأنك مفسد في الأرض. قال تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا﴾، قال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في حديثٍ اُختلف في وصله وإرساله: «مررت ليلة عرج بقوم لهم أظفارٌ من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، قلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يغتابون المسلمين ويقعون في أعراضهم». أظفار من نحاس يُشرحون بها وجوهم وصدورهم هؤلاء المغتابون، قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إن أربى الربا». وفي رواية: «إن من أربى الربا، استطالة الرجل في عِرض أخيه المسلم». إن الرسول في خطبة الحج حجة الوداع، يُذكر الصحبة الكرام بقوله: «إن دمائكم، وأموالكم، وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذه، ألا هل بلغت، اللهم فاشهد» ويقول: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه». والنصوص في هذا الباب كثيرةٌ لا يكاد الحصر أن يأتي عليها.

إخواني تحلوا بمكارم الأخلاق، مكارم الأخلاق مع الله، فلا تتقدموا بقولٍ في مسألةٍ حتى تعرفوا ماذا قال الله وقال رسوله، مكارم أخلاقٍ مع رسول الله، ﴿لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: 2]. لا يخبرك شخصٌ بأن النبي قاله، وأنت ترفع صوتك على صوت رسولك، فإن ذلك يحبط عملك وأنت لا تشعر،

بل إذا سمعت كلام الله -عَزَّ وَجَلَّ- وكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- انصت، استمع ماذا يريد الله منك؟ ماذا يريد منك الرسول الأمين؟ فلا تقدم أي قولٍ على قول الله، ولا على قول رسوله -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، كذلك كن كريم الأخلاق مع والديك، كن كريم الأخلاق مع والديك فهما أولى بكل خيرٍ، حتى من عموم الناس بعد الله ورسوله، إذا كان ربك يقول لك: ﴿فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ [الإسراء: 23] . فزين نفسك بالكتاب العزيز وبالسنة المباركة، هل أنت من هذا الصنف الممتثل؟ ولا تقل لهما أف، أم أنك على غير ذلك؟ انظر هل أنت ممتثلٌ أمر ربك؟ ولا تقل لهما أف، أم أنك على كبر سنك، ما وأنت شابٌ في الجامعة يفترض أن الإنفاق يقف عنك بعد بلوغك، عند جماهير العلماء، ما زلت تغضب على الطعام، تطبخ لك أمك بطاطس تقل لما لم تطبخي اللوبيا؟ كالطفل الرضيع، المفترض أن أمك وصلتك هذا الحد، حد البلوغ أن تسعى وتكد، وتمارس أساليب حياتك، جمعًا للرزق الحسن الطيب، تعلمًا وتعليمًا، وإحسانًا إلى الوالدين، لكن وما زال شبابٌ في هذه السن يكد أبوه ويتعب، ويخرج إلى مظاهرةٍ يتظاهر، ويأخذ النفقة من أمه، وإن لم تعطه صاح وصيح، وإن لم تطبخ له الطعام الذي يريد، أحدث مشكلةً في البيت.

أخلاق رذيلةٌ ودنيئةٌ لا تليق بفاضلٍ عاقلٍ، فضلًا عن أن يكون دينًا وقورًا، فانتبهوا لهذا، كونوا كرماء الأخلاق مع والديكم، «من أحق الناس بحسن صحابتي يا رسول الله؟ قال أمك، قال ثُمَّ من؟ قال أمك، قال ثُمَّ من؟ قال أمك، قال ثُمَّ من؟ قال ثُمَّ أبوك». لكن أحدهم يكون مع أصدقائه في الشارع مرح ومنبسط، ويدخل على الوالدين بوجه متغيرٍ عبوس قمطرير، هل هذا امتثل حديث الرسول؟ كلا والله لا امتثل، إن ربك أمرك بالإحسان إلى الوالدين في عدة آيات، ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا)﴾ [الإسراء: 23]، وحذرت من العقوق في عدة آيات، وعدة أحاديث.

أيها الإخوة، -بارك الله فيكم- أخلاق كريمةٌ مع الأرحام والأقارب، كن كريم الأخلاق مع أعمامك، مع خالاتك، مع أخوالك، مع عماتك، مع أولاد العم، أولاد الخال، كل هؤلاء لهم حقوق، فضلًا عن إخوانك، إن الله قال: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء: 26]. فلذوي القربى حق، ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (26)﴾ [الإسراء: 26]. إلى أن قال: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (28)﴾ [الإسراء: 28]. ابن عمك جاء يطلب منك مبلغًا، أو عمك، وأنت تريد وجها آخر، إذا أردت أن ترده رده بكلامٍ طيب، عفوًا إذا وسع الله علي إن شاء الله، لن أدخر جهدًا في إيصال المبلغ إليك لبيتك، كلام طيب يرطب به على القلب، لا تكن بذيئًا بل الله قال: ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ [الإسراء: 28].

كن كريم الأخلاق مع جيرانك، إن النبي قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». إن النبي قال: «يا أبا ذر إذا طبخت لحمًا فأكثر مرقها وتعاهد جيرانك». إن النبي قال: «لا تحقرن جارة جارتها ولو فرسي شاه». هكذا يوصي النبي بالجار، بل ويوصي جبريل بالجار: «ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه». بل الله قال: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنْبِ ﴾ [النساء: 36]. أي الصاحب في السفر، أكرم كل هؤلاء، فوصية من الله، ثُمَّ من جبريل الأمين، ثُمَّ من النبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، بالجار لوصية جديرةٌ بأن تمتثل فأكرم الجار، اسأل عن الجار، مرض عُده، إذا اشتكى عُده، احتاج صله، أعطه إذا كان محتاجًا، إن أهل الجاهلية كانوا يحافظون على الجيرة، وهم كفار، حتى يؤثر عن عنترة أنه قال:

واغض طرفي ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

أي جارتي تمر بها وهم كفار، لكن يغضُ الطرف عن جارته، ويغض طرفي ما بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها، وهذا الرجل الذي غلبته شهوته وضبط نفسه، وكان كافرًا ذهب إلى رجلٍ وهو الفزاري، ذهب يزور صديقًا له، فما وجد الصديقَ، ووجد أخته، وامرأةً عجوزًا، فيريد الزواج، لكن من أدبه أنه لا يكلمها في غياب أخيها الذي ذهب لزيارته، فوجه الخطاب إلى العجوز قائلًا:

يـــا أخـــت خيـــر البـــدو والحضارة ... كيـف تـرين فـي فتـى فـزارة

أصبح يهوى حرة معطـارة ... إياك أعني واسمعي يـا جـارة

بهذا الأدب والتلطف، فردت عليه البنت أيضًا بأدبٍ وتلطف:

قـد سـمعت يـا فتـى فـزارَ ... لا أبغـي الـزوج ولا الـدعارة

ولا فراق أهل تلـك الحـارة ... فـارجع لأهلـك فـي اسـتحارًا

فكان عندهم حتى نوع أدبٍ ليس كالموجود الأن، يخون الرجل، الرجل في أخته، زميله يخونه، يذهب وهو قليل الدين لزيارة صديقه، ويتعمد أن يزور الصديق، وهو يعلم أن الصديق ليس بموجود؛ حتى ينال شيئًا من عرضه في غيابه، وهكذا أصدقاء السوء.

فكن كريم الأخلاق مع جيرانك، مرضوا عدهم، وقعوا في مشكلة صلهم وواسيهم، فربي أجعلهم سببًا في حفظك، في غيابك، فضلًا عن امتثالك أمر الله -سُبْحَانَهُ -، كونوا كرماء الأخلاق مع عمومِ خلق الله لا تقهروا الأيتام، لا تمنعوا المساكين، لا تمنعوا المحاويج، لا تنهروا السائلين، كونوا على أخلاقٍ كريمةٍ في كل صوبٍ، وفي كل حدبٍ، ولكي تكونوا كرماء الأخلاق، اتركوا الفضول، أي الزائد، فضول القول اتركوه، ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (3)﴾ [المؤمنون: 3]، فضول النظر اتركوه، لا تنظروا إلى كل شيءٍ، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: 30]، فضول كذلك فضول المجامعة، توسطوا فيها، بل فضول النوم، لا تناموا كثيرًا، فضول المخالطة، لا تختلطوا كثيرًا بالناس، إنما اختلطوا بالقدر النافع، فضول الاستماع، اتركوه لا تستمعوا إلا إلى الشيء النافع.

وختامًا التوفيق من الله، والتوفيق بالله، فاسألوا الله أن يحسن أخلاقكم وأن يأخذ أيديكم إلى مرضاته وإلى طاعته.

استغفروا ربكم أنه كان غفارًا.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد...

فلا يخفى عليكم بارك الله فيكم، ما تمر به أمة محمد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مصر وفي بلاد العالم، والكل يجتهد للبحث عن مخرجٍ كي تكشف بها الكُربات التي تمر بأمتنا، ونحن من بدئيات ديننا نعلم أنه لن يكون شيءٌ في الدنيا إلا بإرادة الله، لن يحل بلاءٌ ولن يرتفع بلاءٌ إلا إذا أحله الله، وإلا إذا رفعه الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- البلاء لن ينكشف إلا إذا كشفه الله، ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: 17]. ويريدك بخيرٍ فلا راد لفضله، يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم، فالأصل الأصيل هذا لا بد وإن نستحضره جميعًا، لن يتسلط قومٌ على قومٍ إلا إذا سلطهم الله، ولن ينكف أذى قومٍ عن قومٍ إلا إذا كفهم الله، ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: 24]. وكذلك: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: 64]. وكذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ [المائدة: 11]. ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف: 64].

فمن بديهيات معرفتنا بديننا، أننا نعرف أن الضر ينكشف بإذن الله، وأن البلاء يحل بإذن الله، وما كان لبلادٍ أن يحل بها بلاءٌ، إلا إذا أراد الله ذلك، ولا أن ينكشف عنها كربٌ، إلا إذا أراد الله لها ذلك، هذه من المسلمات عندنا فإن ربنا: ﴿فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (16)﴾ [البروج: 16]. ولكن جرت سنة الله في الخلق، أن المطيع لله يُكرم، وأن العاصي لله يهان، نعم قد يبتلى الشخصُ، والمقصد الأعظم من الابتلاء، أن يرجع إلى دينه، ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (43)﴾ [الأنعام: 43]. ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (94)﴾ [الأعراف: 94]. ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾. فتتداول الأيام على الناس، حتى يرجع الناس إلى دينهم، أنت الأن في عافية، ومع كونك في عافية، وغنيٍ، وسعة قد تستكبر على الله وتعصي، ولا تهتم بالدعاء، ولكن تُبتلى، حتى تمد يديك إلى السماء يا رب، يا رب اكشف عني الضر، يا رب أذهب عني الضر يا رب، فتأتي البلايا وتأتي المصائب لإرجاع الناس إلى دينهم، إلى كتاب ربهم، إلى سنة نبيهم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فما نراه الأن من أحداث، وما أطلقوا عليها الثورة، بها ارتفع أقوامٌ، وانخفض آخرون بها أيضًا في نفس المنوال، ارتفع أقوام في دنياهم، وانخفض آخرون في دنياهم، وارتفع أقوام في آخرتهم، وانخفض آخرون في آخرتهم، فالموازين ليست بموازيننا الدنيوية فحسب، فقد يكون هناك، لا أقول الكلام دفاعًا عن أحد، ولكنها سنة ماضية، قد يكون هناك وزير، كان مسرفًا على نفسه، كان ظالمًا، كان يسرق، كان يظلم، كان يقتل، فجاءت هذه الأحداث فتاب إلى الله توبةً نصوحًا، ورجع إلى الله مرجعًا حسنًا، وكُسر حمله الكسر على أن يقول استغفر الله، تب علي يا رب مما صدر مني، ويبحث عن أصحاب المظالم، يرد إليهم المظالم، وفي ذات الوقت قد يكون هناك شخصٌ كان منكسرًا، فجاءت هذه الثورة، فارتفع في الدنيا درجات، فبدأ

يطغى، وبدأ يبغي، فالأحوال يعلمها الله، ولا يأمن أحدٌ على نفسه، فمعايرنا للناس وللأنفس ليست بناء على الدنيا الفانية، ولكن هل اقتربنا من الله؟ أم أننا ابتعدنا عن الله؟ إن الغيث ينزل من السماء، الغيث ينزل من السماء يصاب به أقوامٌ ينتفعون به، ويضر به آخرون، المطر ينزل، الفلاح ينتفع بالمطر، والزرع يترعرع، وآخر قد يمشي في الطريق يصاب بحادثٍ في سيارته فيتكسر وتتكسر سيارته، والذي أنزل المطر هو الله -سُبْحَانَهُ-.

فالحاصل من ذلك، أننا أفرادًا وجماعات من فضل الله علينا كمؤمنين لا نيأس أبدًا من رحمة الله، إن أصابتنا سراءُ شكرنا الله فأُثبنا، إن أصابتنا ضراءُ صبرنا على قدر الله فأُثبنا، فالعبرة إذًا باستقامتنا على أمر الله، وقد علمنا من المسلمات في كتاب الله-سُبْحَانه-وفي سنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، علمنا من المسلمات، أن الطائع لله يكرمه الله، فإن كان القوم كلهم في بلاء، وأنت لله مطيع، أيقن أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- سيكرمك، أيقن إن كان القوم كلهم في شقاء، وكلهم في عناء، وأنت من فضل الله مطيعٌ لله تبحث عن الذي يرضي الله فتفعله.

فانصح قدر استطاعتك، أيقن تمام اليقين، أن الله سيكرمك، حتى إن ابتليت في الدنيا، وأنت مطيع لله، ترتفع درجاتك في الآخرة، فليس المعيار عندنا لقمة عيشٍ نأكلها في الدنيا فحسب، بل سلفنا الصالح، بل رسولنا الأمين، جاع وربط الحجارة على بطنه، من شدة الجوع، ولم يكن أبدًا بمهانٍ عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بل حذرنا من التوسعة، «والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني اخشى أن تنصت عليكم الدنيا، كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم».

فعلى المستوى الفردي نجاتك يا عبد الله في طاعة الله ورسوله، ليس لك سبيلٌ للنجاة في الدنيا ولا في الآخرة إلا بذلك، ليست نجاتك في وظيفةٍ تتقلدها، ليست نجاتك في منصبٍ تترقي إليه، بل نجاتك أولًا وآخرًا في طاعة الله وطاعة رسوله، وتقواك لله إذ الله قال: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3]. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أجرا﴾ [الطلاق: 5].

فإذا أردت السلامة والنجاة، استقم كما أمرك الله، أطع ربك انظر ماذا يريد منك، ماذا يريد منك رسوله؟ وامتثل، والله ستُكرم؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، ولأهل الكرم الدنيوي فحسب، بل الكرم الأخروي أعظم، ورفعة الدرجات في الآخرة أعظم، ما الذي ستنتفع به؟ إذا كان الناس كلهم في رخاء، وأنت في ضنك بمعصيتك لله، إنك لن تنتفع حتى إذا كان الناس كلهم في رخاء، ودولتك كلها في خيرٍ، وأنت لست على طاعة أنت متضرر، وكذلك لن تضار إذا كنت مطيعًا لله، والقوم كلهم في شقاء، فالمخرج أمامنا واضح تمام الوضوح من فضل الله، لا لبس فيه، ولا التواء ولا انشغال لنا ولا كبير انشغال عن الأصل الأصيل الذي تعلمناه، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: 2]. ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: 3].

فالاستقامة الاستقامة على طاعة الله، أفرادًا وجماعات، إننا نوقن أن الذي يستقيم عن أمر الله سيكرم، والذي يحيد سيهان، سواءً كانت دولة، سواءً كان مسئولًا، سواءً كان فردًا من الأفراد، وزيرًا من الوزراء، رئيسًا من الرؤساء، ملكًا من الملوك، الطائع يُكرم وأموره تهدأ، ويستقر بإذن الله، له حاله، إن عاش عاش كريمًا، وإن مات مات كريمًا، بإذن الله تعالى، الله يقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: 38] . ويقول: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه: 123] . ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القيامة أَعْمَى (124)﴾ [طه: 124]. جرب بنفسك أن تكون طائعًا لله سيكرمك الله، وعد بذلك، وربي لا يخلف الميعاد، جرب بنفسك أن تكون مستقيمًا أيقن أن الله سيكرمك، لا تشغل نفسك بغير النافع، ابحث عن الشيء الذي ينفعك في دينك وفي دنياك، وافعله امتثالًا لوصية الرسول الأمين لابن عباس: يا بن عباس إني أُعلمك كلمات: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدهُ تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، إذا استعنت فاستعن بالله، أعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء، لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، ولو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، رفعت الأقلام وطويت الصحف». فاعلموا ذلك، وأيقنوا به أن طاعة الله رأس كل خير، وأن معصية الله رأس كل شر، وتقييمنا للأحداث الجارية الأن، أن الناس لم يزالوا في بعدٌ عن طريق الله، ولكن حتى تسلم من هذه الفتن، انجو بنفسك أطع ربك، أطع رسولك، أدعو إلى الله، أدعو إلى كتابه، أدعو إلى سنة رسوله، ستسلم وتغنم بإذن الله تعالى، أدي ما عليك، ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 286].﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق: 7]. حافظ على أراضي المسلمين والمسلمات، وابحث عن سبل الخير لإيصالها إليهم، وأيقن أنك ستسلم وتغنم.

بارك الله فيكم، اللهم يا ولي الإسلام وأهله ثبتنا على الإسلام والإيمان حتى نلقاك، اللهم مسكنًا بالعروة الوثقى حتى نلقاك، اللهم مسكنا بكتابك الكريم وبسنة نبيك الأمين، اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين، اللهم ألبسنا لباس التقوى، وزودنا بزاد التقوى يا رب العالمين، ألبسنا اللهم لباس التقوى، وزودنا اللهم بزاد التقوى يا رب العالمين، خذ بأيدينا ونواصينا إلى طاعتك، وإلى مرضاتك يا رب العالمين، ارحم أمواتنا وأموات المسلمين، فك أسرنا وأسر المسلمين، اشف مرضانا ومرضى المسلمين، اقض الدين عنا وعن المدينين، ارفع درجاتنا في عليين مع المنعم عليهم من النبيين، والصديقين، والشهداء، والصالحين وحسن أولئك رفيقًا، اللهم وفق ولي أمر هذه البلاد لكتابك، ولسنة رسولك الأمين، واحفظ بلادنا مصر أمنة مطمئنة وسائر بلاد المسلمين، وجنبنا اللهم الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأنعم علينا بالنظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، صلوا على البشير النذير وسلموا تسليمًا.

وأقم الصلاة.

****

- يمكنكم متابعة خطب ودروس الشيخ على الرابط التالي :

https:--www.youtube.com-channel-UCkL2vNPCvXU1niLe7KhKFXg

- رابط الخطبة :

https://www.youtube.com/watch?v=yQfsTDDMqDE&list=PL92HwYx3aJlvJO3ewL3GHuCxcMuOShRNy&index=2

- رابط صفحة الشيخ مصطفى العدوي الرسمية على الفيس بوك :

https:--www.facebook.com-groups-1258020111019067-?ref=share